الفصل الأول

الخلفية التاريخية

لخروج المرأة إلى ميدان العمل

obeikandl.com

obeikandl.com

يهدف هذا البحث إلى معرفة دوافع وحوافز عمل المرأة ونتائج هذا العمل، ولذلك نجد أنه من الضروري تتبع التطور التاريخي لوضع المرأة في المجتمع الإنساني والوظيفة أو الوظائف المختلفة التي فرضت عليها أو التي قامت بها، ولهذا سنعرض عرضا موجزا لتطور وضع المرأة عبر التاريخ، وسنحاول أن نستقرئ من هذا العرض التاريخي العوامل التي أدت إلى دفع المرأة للعمل خارج المنزل سواء في الشرق أم في الغرب.

فالمرأة الغربية سبقت المرأة الشرقية في الخروج إلى ميدان العمل، وتقلد مختلف الوظائف وشتى المهن، وكان ذلك نتيجة لظروف وملابسات معينة وهنا نقف قليلا لنتساءل:

هل العوامل التي أدت إلى خروج المرأة عوامل تمليها طبيعة المرأة وتكوينها أم عوامل تتعلق بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟

إن أوضاع المرأة في الأمم الغابرة مثل اليونان والرومان والعرب والهنود وغيرها من الأمم كانت سيئة للغاية. فقد أوضحت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية أن مكانة المرأة ودورها في المجتمع يختلف اختلافاً كبيراً من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر في مجتمع واحد. فلكل مجتمع خصائص ينفرد بها عن غيره من المجتمعات وترتبط بظروفه وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

فالمتتبع للأحداث التاريخية يرى أن عمل المرأة كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوضع ومكانة المرأة في المجتمع ونظرة المجتمع إليها، كما أننا نجد أن المجتمعات يختلف فيها وضع المرأة ودورها في الحياة فأحيانا يكون سلبيا وأحيانا يكون إيجابيًّا نشيطا، وذلك بحسب أنواع التدريبات المختلفة التي تتلقاها الفتاة خلال مراحل حياتها، وبعد ذلك تتوقف المسألة على قدر الثقافة الذي تناله الفتاة،

كما تتوقف أيضاً على استعداد المجتمع لتقبل أي نشاط يمكن أن تسهم به الفتاة. فلقد بينت الدراسات النفسية أن الفروق بين الجنسين لا ترجع فقط إلى ما بينهما من فروق بيولوجية و إنما ترجع أيضاً إلى اختلاف العوامل الحضارية والملاحظة البسيطة تؤكد أن المرأة استطاعت أن تؤدي أدواراً مختلفة متغايرة حسبما يتطلب منها المجتمع فكأن الأنظمة الاجتماعية وألوان التدريبات المختلفة هي التي يمكن أن تكون الأساس البيولوجي للمرأة [1]، أو توجيه مسيرة المرأة.

لكن خروج المرأة الغربية إلى ميدان العمل في العصر الحديث وقضية دعوى تحريرها من التبعية للرجل ومساواتها بالرجل حمل بين ثناياه الكثير من الآثار السلبية التي أثرت في وضع المرأة الغربية خاصة، وفي المرأة عموما في شتى أنحاء العالم.

حيث ساعد انهيار نظام الإقطاع السائد في المجتمعات البورجوازية والرأسمالية على قيام الملكيات القوية في مختلف الأقاليم الأوربية، وبدأت معالم التغيير القوية تظهر عند اكتشاف الآلة البخارية وقيام الثورة الصناعية، فاضطرت المرأة إلى العمل بنفسها لتعول نفسها وأحياناً لتعول أسرتها، فاستغلها أصحاب المصانع والسماسرة والرأسماليين وأعطوها نصف الأجر الذي يعطونه للرجل مع أنها تعمل في المصنع وتعمل نفس العدد من الساعات أيضا.

إذن الحركة النسائية في أوربا كانت حركة منطقية مع الظروف الاجتماعية.

وكان لا بد للمرأة في هذه الظروف، وفي ظل هذه الأوضاع أن تطالب بحقها الطبيعي والمنطقي، واستعملت كل وسائل المطالبة كالإضراب والتظاهر والإعلان والدعاية، ثم بدأت تفكر في الحلول التي سوف تخلصها من هذه

---

(١) Hurlock, EIB. Child Development, MCGraw- Hill pub. New-York an London 1942, p. 54.

الأوضاع السيئة والتخلص أيضا من التبعية والسيطرة التي كان يفرضها عليها الرجل، فبدا لها أنها لا بد أن تشارك في مصدر التشريع لتستنبط تشريعات في صالحها؛ لأن التشريعات هناك يضعها أصحاب المصالح لاستغلال الآخرين، ولا يضعها الله - عز وجل - لعباده كلهم كما هو الحال في الدين الإسلامي الحنيف، فمن هنا كانت نقطة البداية، وانطلقت المرأة تطالب بحقوقها، فطالبت بحق الانتخاب ثم حق دخول البرلمان، ثم طالبت بالمساواة في الوظائف والمساواة في التعليم، وتقلد العديد من الوظائف بغض النظر عما إذا كانت تناسب أنوثتها وتكوينها الجسدي والنفسي أو لا. المهم هو السعي وراء لقمة العيش وتأمين الحياة والكسب المادي فقط.

كانت المرأة في الغرب تعيش مع الرجل وتخوض غمار التجربة بكل إصرار وعناد، فتحاول جاهدة النجاح في جميع مجالات العمل وإثبات قدرتها ومهارتها وكفاءتها في أداء مختلف المهن، وإثبات أيضا أن النجاح في العمل يعود إلى الشخص نفسه وطموحه ومهارته وخبراته، وليس لتحديد الجنس الذكري أو الأنثوي دور في هذا الموضوع، كذلك حاولت المرأة الغربية من خلال عملها المادي الاستقلال المادي، ومن ثم تخفيف القيود والسيطرة التي كان يفرضها عليها الرجل.

وكان على سبيل المثال قول لينين: «إن الأمة لا تكون حرة حيث هناك نصف عدد السكان مغلولون بأعمال المطبخ»، وكان لهذا القول أثر في ارتفاع أمل النساء في التحرر من الوحدة ومن الأعمال المنزلية، وقد منحت الزمالة والحرية والسمعة النساء في روسيا دنيا جديدة. ولكن المميزات الجديدة جلبت عليهن مسؤوليات جديدة. فإن معظم الأعمال بالمصانع هي أيضا روتينية ومجمدة مثلها مثل الأعمال المنزلية، بل وأحياناً أشق منها، ولم تستثن المرأة من الأعمال الصعبة والقذرة مثل

حفر الأنفاق أو نظافة الشوارع. إن المساواة تعني المساواة، والمرأة لا تعفى من أجل جنسها، إنما قدرتها الجسمية هي التي تحدد المستوى [١].

وقد كان نتيجة خروج المرأة إلى ميدان العمل قدرتها على تحقيق بعض المكاسب، لذلك ارتفعت مكانة المرأة عاليا، وقد ساعدها على ذلك نداء بعض المفكرين والثوار، «ففي خطاب إلى كوجلمان سنة ١٨٨٦م أعلن كارل ماركس أن التقدم الاجتماعي يمكن أن يقاس بدقة الوضع الاجتماعي للجنس النسائي [٢].

إذن المساهمة في الإنتاج لم تظهر بصورة واضحة إلا مع ظهور الصناعة الحديثة، ولكن هذه المساهمة كانت تتم بطريقة تجعل المرأة حينما ترغب في أداء الواجبات الأسرية والعناية بها تظل مبعدة عن الإنتاج والمشاركة، وحينما تريد المرأة المساهمة في الإنتاج وكسب معاشها في استقلال، فإنها تصبح في وضع لا يمكنها من أداء واجباتها الأسرية وما ينطبق على المرأة في المصنع ينطبق عليها في كل حرفة أخرى.

يتضح لنا من العرض السابق أن المرأة منذ بداية البشرية قامت بأدوار مختلفة، هذه الأدوار فرضتها عليها ظروف المجتمع الذي سيطر عليه الرجل بعد أن تحددت العلاقة بين الرجل والمرأة، وبعد أن دخلت المدينة في طور الزراعة. فحين طلب منها المساهمة في الإنتاج سواء في المصنع أو الحقل اندفعت إلى العمل مع ما صادفها من صعاب. وحين طلب منها أن تبقى في المنزل، وتقنع بتربية الصغار استجابت لذلك، إن تحقيق مكانة المرأة وتغيير الدور الذي كانت تقوم به مرة بعد أخرى قد تم على يد الرجل، فهو الذي استشعر أهمية وجودها إلى جانبه في المجتمع خارج نطاق المنزل فأعطاها أدوارا جديدة مختلفة عن الدور الذي تؤديه داخل المنزل أزمانا طويلة [٣].

---

(١) Baber : Marriage and Family, p. 71.

(٢) المرجع نفسه، ص : ٣٥٧.

(٣) Deutch H. Psychology of Women p. 375.

وهكذا نجد أن تعليم المرأة ونوع التعليم وكيفيته ومتطلبات الحياة الاجتماعية والحضارية والقيم السائدة في المجتمع هو الذي يؤهل المرأة للعمل ويمهد لها الطريق للخروج من المنزل والمشاركة في الحياة.

العلاقات بين التصنيع والتغيير في نظام الأسر

أثرت الثورة الصناعية في إحداث التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المرأة، وكان لظهور الرأسمالية الصناعية آثار كبيرة على المرأة في مختلف الطبقات الاقتصادية. ففي الطبقات العليا زادت الثورة الجديدة من وقت الفراغ لدى المرأة، بينما قاست زوجات الطبقة العاملة كثيرا. فالضرورة الاقتصادية اضطرت المرأة للعمل في المناجم والمصانع - كعمال غير مهرة - فانحطت مكانتها، كما كان عليها أعباء غير محتملة من العمل داخل المنزل وخارجه. وما لبث أن سمع صراخها فارتفعت مكانتها في المنزل. وقد أعطاها عملها جنبا إلى جنب مع الرجل بعض المزايا التي حققتها تدريجيا.

وقد حاول المفكرون الاجتماعيون تفسير التغيرات التي لحقت بنظام الأسرة في المجتمع الصناعي الحديث، ومن ضمن هذه المحاولات كتابات كارل ماركس وخصوصا فيما يتعلق منها بتأثير الصناعة على الأسرة في المراحل الأولى لنمو النظام الصناعي الرأسمالي «فاتجه كارل ماركس إلى دراسة التغيرات التي لحقت بالأسرة نتيجة لاستخدام الآلات في الصناعة في بلد واحد هو إنجلترا، وفي مرحلة زمنية محدودة هي النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفي رأي كارل ماركس أن استخدام الآلات في الصناعة وإحلالها محل الأدوات أدى إلى انتقال

ملكية أدوات الإنتاج إلى صاحب العمل بحيث تحول العامل إلى مجرد شخص أجير يبيع قوة عمله لصاحب العمل لقاء أجر معلوم، كما أن تجزئة العملية الإنتاجية وتبسيطها أدى إلى الاستعانة بالنساء والأطفال و إحلالهم محل الرجال، كما أدى إلى انخفاض معدلات الأجور نتيجة لزيادة العرض على الطلب في سوق العمل، وقد كان لهذه التغيرات أثر كبير على الأسرة حيث أصبح جميع الأفراد يعملون في المصنع جنبا إلى جنب بأجور زهيدة ولساعات طويلة مما أدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية للأسر العمالية، وارتفاع معدلات الوفيات بين العاملين وخصوصا للأحداث الذين يعملون في الصناعة. وقد اعتمد ماركس في كتاباته عن الأسرة على التقارير التي كانت متوافرة في زمنه والتي كانت تشير إلى تشغيل النساء والأطفال، واضطر الآباء إلى بيع قوة عمل أبنائهم في سن مبكرة وارتفاع نسب وفيات الأطفال وانتشار البطالة [1].

لكن في الآونة الأخيرة أخذت أصوات الاجتماعيين في أوربا وأمريكا تتصاعد هاتفه في حرارة ووجل : (أعيدوا المرأة إلى البيت).

ففي هذه المجتمعات الكادحة يتركز المثل الأعلى لسعادة المرأة في شيء واحد هو أن تجد العائل الذي ينقذها من دوي المصانع وعناء العمل و إرهاق الوظيفة فيعيد إليها ما سلبته المدنية القاسية من رحمة البيت وهدوء النفس واستقرارها والسكينة التي فقدتها عندما خرجت من منزلها وانطلقت باحثة عن مصدر الرزق وكسب العيش وتأمين المادة لحياتها.

وقليلا ما تفوز المرأة بهذه النعمة الكبيرة هناك. فعقلاء الغرب ومفكروه يبكون دماً لفراقه وتذوب المرأة الغربية حنينا للعودة إليه.

ولعل مما ساعد على خروج المرأة الغربية للعمل بشكل كبير هو :

أولاً : الثورة الصناعية.

التي احتاجت إلى توفير عدد كبير من الأيدي العاملة وخصوصاً عندما يضرب الرجال عن العمل للمطالبة بحقوقهم المشروعة . فسدت المرأة بدورها هذا الفراغ، وبخاصة أنها تأخذ نصف الأجر الذي يتقاضاه الرجل تقريبا عن العمل نفسه . هذا بالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته الثورة الصناعية في أحداث التغيرات الاجتماعية التي أثرت على المرأة .

ثانياً : الحروب التي سادت أوربا.

فطبيعة الظروف في هذه المجتمعات فرضت على المرأة المشاركة في بناء المجتمع وتنميته لانشغال الرجال بالحرب أو لفنائهم كما في ألمانيا وفرنسا . وعلى سبيل المثال «ففي فرنسا ساهمت المرأة في نواح متعددة، ويرجع هذا إلى الحرب العالمية الأولى حيث اشتركت النساء والبنات في كل عمل ينضم عماله إلى الجيش . وعلى ذلك فقد صممن أن يتولين أمر مكاسبهن، وخصوصا حين فقدت الغالبية منهن الأمل في الزواج . وذلك لنقص ما يقرب من مليوني رجل»[1].

ثالثاً : ابتعاد أوربا عن الدين وانتشار العلمانية.

كان لابتعاد أوربا عن الدين وانتشار العلمانية أثر كبير في إحداث خلل في المجتمعات . حتى ولو كان الدين محرفا فهو يعني نوعا من الانضباط الاجتماعي الذي يوجد التوازن والاستقرار الاجتماعي .

رابعاً : تخطيط اليهود والماسونية لإفساد المجتمعات العالمية.

فتخطيط اليهود يركز على المرأة كبؤرة اهتمام أساسية، ومن ضمن ذلك إخراج المرأة من مملكتها حتى تستخدم كأداة لإفساد الأجيال الكبيرة وضياع الأجيال الصغيرة بأعمال تخل بكرامتها ولا تتفق مع طبيعتها وأنوثتها .

---

(١) Baber, Marrage and The Family, p. 371.

خامساً : انتشار الروح الفردية في الغرب.

مما جعل أصحاب رؤوس الأموال والمصانع والمخططين لا يراعون المصالح الأسرية والجماعية للأسر والجماعات والمجتمع بصفة عامة، ولكن تتركز بؤرة الاهتمام لديهم على مصالحهم الشخصية وتحقيق أعلى معدلات من الإنتاج والمكاسب المادية بغض النظر عن الخسائر الفادحة التي سوف تنجم من جراء ذلك.

سادساً : أثر الثورات الاجتماعية الكبرى.

أثرت الثورات سواء الفرنسية أو الروسية أو غيرها، وخصوصا تلك التي تحمل أفكارا أو مثلا وحاولت تطبيقها في الواقع الاجتماعي، ودخلت المرأة بصفتها عضوا في المجتمع الإنساني في خضم الأحداث وتأثرت كما تأثر المجتمع بأكمله بهذه الأفكار والثورات والتغيرات.

ولقد كان للتغيرات الاجتماعية المذكورة آنفاً في حياة الأمم الغربية أثرها في العالم أجمع، وامتد هذا التأثير على العالم الإسلامي عموما. وكان من أبرز ما ساعد على خروج المرأة المسلمة للعمل ما يلي :

١ - استعمار الأمم الغربية للعالم الإسلامي ومحاولة فرض مفاهيمه عليه.

٢ - الغزو الثقافي لديار الإسلام وتأثر كثير من القياديين في العالم الإسلامي بذلك.

٣ - سيطرة الغرب على الأجهزة الإعلامية سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر.

٤ - تأثر بعض أفراد المجتمع من الذين تلقوا العلم بالثقافة الغربية ودعوتهم لتعليم المرأة وعملها.

٥ - رغبة المرأة ذاتها في التخلص من القيود التي فرضها عليها المجتمع والتقاليد الاجتماعية الموروثة ونظرة المجتمع لها خلال النصف الأول من

هذا القرن وحرصها على النهوض والتقدم وتحقيق طموحها وآمالها لمواكبة العصر.

٦ - ظهور قيم جديدة في المجتمع شاعت تدريجيا وأخذت تدفع المرأة نحو الخروج من دائرة المنزل والعمل به إلى دائرة المجتمع بوجه عام بالأنماط الحضارية الحديثة أدت إلى دفع المرأة للعمل واتجاه المجتمع نحو مطالبتها بالقيام بدور الإنسان العامل المنتج على مستوى المجتمع.

٧ - أثر الحربين العالميتين في العالم العربي الإسلامي بصفة عامة «ففي مصر على سبيل المثال اقتضى وجود القواعد العسكرية تشغيل عدد كبير من الرجال بها مما أدى ذلك إلى خلو أعمالهم الأصلية، فساعد ذلك على إحلال النساء في بعض تلك الأعمال، مثل الأعمال التجارية والمصانع»(١).

٨ - وجود الجاليات الأجنبية في بعض البلاد الإسلامية والعربية وأثرها في تقبل القيم الجديدة المتعلقة بعمل المرأة.

٩ - المكانة كقيمة يحققها العمل: إن وضع المرأة في كثير من الأقطار العربية كان سببا في خروجها من البيت والتحاقها بالعمل حيث عاشت تابعة للرجل، فهو يسيطر عليها ويتحكم في مصيرها بحكم قوته ورجولته والمفاهيم التي غرست فيه وشب عليها وتمسك بها، لذلك افتقدت الكثير من النساء الشعور بالأمن والطمأنينة، ومن ثم عندما جاء العمل بخبراته المختلفة وشعرت المرأة بواسطته أنها تستطيع أن تكون مستقلة ماديا جعلها تؤمن به وتقبل عليه وتدعو له من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لأبنائها وخصوصا عندما بينت الخبرة أن مزايا العمل فاقت مزايا التزام المرأة بالمنزل.

---

(١) تقرير اللجنة الاقتصادية، مؤتمر المرأة الأفريقي الآسيوي.

١٠ - التطور الصناعي والنهضة الحديثة التي تعيشها بعض البلاد العربية جعلت أصحاب المصانع يشغلون النساء تحقيقا لمزيد من الكسب على أساس أن أجور النساء أقل من أجور الرجال.

١١ - حركات ما عرف بالإصلاح الاجتماعي والدعوات التي قام بها بعض المصلحين والمفكرين والأدباء وأثرها ودورها ووظيفتها مثل دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة، ودعوة رفاعة الطهطاوي الذي كان يعمل عضوا بديوان المدارس - فدعا إلى تعليم البنات وإعدادهن عن طريق التربية للعمل والقيام بواجبهن في المجتمع. وكذلك من أصحاب الدعوة التحريرية (السيدة ملك حفني ناصف) التي اتجهت في كتاباتها إلى الدعوة لإصلاح أحوال المرأة من نواحي التعليم ومركزها في الأسرة والمجتمع. وقد وقفت في سنة ١٩١٠م على منبر الجامعة وألقت محاضرة على المرأة كما نادت بإنصافها في مؤتمر عام ١٩١١م.

واستمرت هذه الدعوات حتى استقر إلى حد كبير في أذهان الناس القيم المتصلة بتعليم المرأة وعملها. والملاحظ أن أصحاب هذه الدعوات التحررية والإصلاحية قد قاموا بدعوتهم متأثرين بالفكر والحضارة الغربية العملية باعتبارهم خبروها في تلك البلاد الغربية[١].

١٢ - السلوك الاستهلاكي وأثره في الحياة، فقد أدى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي إلى تعدد حاجات الناس وزيادة مطالبهم مما كان له أثره في ضرورة مقابلة وإشباع هذه الحاجات عن طريق زيادة دخل الأسرة ومن ثم تقبل عمل المرأة ومساهمتها في دخل الأسرة فضلا عن دفعها وتسهيل مجالات العمل أمامها.

---

(١) كاميليا عبد الفتاح (سيكولوجية المرأة العاملة، ص: ٢٩٦).